

مدرسة جاكسونفيل

تجربة جديدة في التعليم

قبل أن نصف هذه التجربة يجب أن نقول إن جميع المدارس والجامعات في العالم كله — ومنه مصر — تعاني أزمة المعلمين المتعطلين . فإن حامل شهادة الثقافة العامة أو خريج إحدى الكليات بعد أن يكون أبواه قد أنفقوا عليه المبالغ الطائلة وأنكروا على نفسيهما الضروريات قبل المتع والكاليات — بعد هذا كله يخرج إلى العالم فلا يجد العمل الذي يتكسب به ، ثم يعود متعطلا السنوات الطويلة وهو بمثابة الآلة الثمينة التي أنفق على صنعها مئات ، بل ألوف الجنيهات ثم ترك لكي تصدأ وتتلف .

وحده الحال تشغل العالم المتمدن كله . وهي من المسائل التي ترصد لحلها أذكي الأذهان ، فإن تعميم المدارس قد قلب نظام العمل ، أو على الأقل قد أدخل بهذا النظام . ذلك أن الصناعات القديمة قبل نحو مائة سنة كانت تعتمد على اتخاذ الصبيان يخدمون ويتعلمون المهنة بالممارسة على نحو ما نرى إلى الآن في بعض صناعاتنا الموروثة . فإن للحلاق وللتجار وللحداد صبياناً يتعلمون ، فإذا بلغوا سن الشباب استقلوا واحترفوا المهنة التي تعلموا . وهذا النظام كان يعمل به قبل أن تشيع المصانع الكبيرة ، وكان يسمى بالفرنسية (Apprentissage) .

والنظام الجديد الذي أطلق عليه اسم "برنامج جاكسونفيل" في أمريكا هو مزاجية أو توفيق بين تعليم التلميذ وممارسة الصبي . فقد وجد سكان الولايات المتحدة الأمريكية أن تعطل المعلمين يزداد ويتفاقم ، وأن انقطاع الصلة بين المدرسة والمجتمع يضر الاثنين ، لأنه يجعل الأولى تنصرف إلى درس مواد ثقافية قد لا تكون لها أهمية كبيرة في الكفاءة الحرفية ، ويجعل المجتمع يعتمد في صناعته على غير المعلمين . وجاكسونفيل هذه مدينة في إحدى الولايات الجنوبية فكرياً منذ سنة ١٩٣٣ رجال التعليم في هذه الحال ورأوا كيف يخرج حملة الشهادات العالية والمتوسطة الجامعية والمدرسية يتسكعون ويطرقون أبواب العمل فلا يجدون ما ينشدون ، لأن أصحاب العمل يرفضون استخدامهم لنقص في كفاياتهم أولياقتهم .

والمسئول عن هذا النظام الجديد أى "برنامج جاكسونفيل" هو اثنان أحدهما المستر ريكستر والآخر المستر دوى . ويتلخص هذا البرنامج الذى أخذت به عشرات من المدارس فى الولايات الجنوبية فى أن التلاميذ يحضرون للدراسة منذ الصباح الى منتصف النهار للدراسة . أما بعد الظهر فانهم يمودون صبيانا ممارسين للأعمال التى يختارون . فإن ناظر المدرسة يطلب تلاميذه واحدا بعد آخر ويعرض على كل منهم عملا فى المدينة يلىق لكفائته عند ما يتم دراسته . ثم يستقدم آباء هؤلاء التلاميذ ويتحدث اليهم فى هذه الأعمال من حيث نوعها ومكاسبها . بل هو أحيانا يزور معهم بصحبة ابنهم بعض المصانع أو المكاتب أو المتاجر . فإذا اتفق الجميع على اختيار صناعة ما عهد الناظر بمساعدة مكنتيره الى صاحب العمل وقدم اليه التلميذ الذى يعمل عنده فى النصف الثانى من النهار . والأعمال التى يختارها التلاميذ تتنوع وتختلف من تربية الدجاج أو الكلاب الى بيع البقول والفواكه . ومن صناعة الورق الى صناعة التجميل . ومن أعمال السكريرية فى المتاجر والمكاتب الى جمع الحروف فى المطابع .

والمدرسة ، مع أنها لا تختلف من حيث المواد الدراسية التى تدرسها عن سائر المدارس ، تقسم تلاميذها فئات ، وتلقى عليهم دروسا فى الأعمال التى يعملون فيها بعد الدراسة . وهؤلاء التلاميذ لا يعملون بالبحان . لأنهم يؤجرون على عملهم ، وفى الوقت نفسه يتعلمون هذا العمل بالممارسة والمعانة . وقد ينقد التلميذ جنيتها كل أسبوع يساعد به والديه على أداء المصروفات المدرسية أو على شراء حاجاته الأخرى . وهناك بالطبع تلاميذ كثيرون يتركون العمل الذى اختاروه لأنهم بعد الخبرة يجدون أنهم غير لا تقين له . وهذا لا يعدّ خسارة . لأنه خير للتلميذ أن يترك العمل بعد الاختبار فى هذه السنوات الأولى بدلا من أن يتركه وهو رجل كبير . إذ لا تزال الفرص هنا متاحة له لى يختار ما يشاء ، ويتعلم ما يشاء دون أن يشعر بيجرح لكراسه ، أو يلقى فى روعه أنه غير كفء إذ هو لا يزال فى طور التعليم .

وقد أصبح لكل مدرسة تجرى على هذا النظام مكتب هو فى الحقيقة "بورصة العمل" وهناك يقعد مدير هذا المكتب ولديه أسماء أصحاب العمل وأسماء التلاميذ . ومن وقت لآخر ينظر فى إعلانات الصحف ، ثم يخاطب أصحاب العمل بالتليفون ويستدعى بعض التلاميذ . ويذهب هو والتلميذ الى حيث يطلب العمل . وقد يرافقهم والد التلميذ أو أمه وبعد المعاينة والحديث يتم الاتفاق على أجر معتدل للتلميذ .

ويجد هذا البرنامج حماسة عظيمة فى جميع مدن الولايات المتحدة . ولا تقتصر فائدته على التفادى من تعطل المعلمين بعد تخرجهم ، لأن له فوائد أخرى تتصل بالأخلاق . ذلك أن الشاب الذى يعمل عصر كل يوم الى المساء لا يجد ذلك الفراغ الذى كان يقضيه فى الفساد . كما أنه يكتسب كرامة ورجولة بما يكسب من أجر يشمره بفائدته للجمع وحاجة هذا المجتمع إليه .

ويجب أن نقول إن الأمريكيين كانوا قبل أن يعرفوا "برنامج جا كسونفيل" لا يجهلون استخدام التلميذ أو الطالب مدة الدراسة . بل إن كثيرا من طلبة الجامعات — حتى من أبناء المتيسرين والأغنياء — كانوا يحترفون عملا ما وقت فراغهم لكي يتكسبوا به ويساعدوا آباءهم على القيام بنفقاتهم .

وكثير من الطلبة والطالبات في الجامعات الأمريكية لا يكفون آباءهم شيئا من هذه النفقات ، لأنهم يكسبون من أعمالهم ما يستد حاجاتهم جميعها ، والروح الديمقراطية الذي يسود الأمريكيين يجعل الطالب يقبل أى عمل ما دام يكسب منه ، فقد يكون خادما في قهوة أو مرطونا في مطعم ، وقد يؤدي أعمال السكرتيرية في مصنع أو يقف بائعا في متجر . ولكنه وهو يعمل هذه الأعمال لا يقصد في العادة إلى غير الحصول على المال لكي يقوم بنفقاته المدرسية أو الجامعية . وهو إذن لا يبالي أى عمل يعمل ، ولا هو يعنى باختياره لكي يتبأ به لأن يحترفه في المستقبل . أما "برنامج جا كسونفيل" فيربط التلميذ أو الطالب بعمل ما يمارسه وقت التحصيل لكي يحترفه في المستقبل .

وتقول إحدى المجالات التي نقلنا عنها هذه الخلاصة إن هذا النظام سوف يؤخذ به في كثير من الولايات المتحدة ، بل المرجح أن أمما أخرى كثيرة ستعمل به .

من أسواق الذهب لشوقي

- الفتيات نائمات فاذا تزوجن انقبن ، والفتيان سكارى فاذا تزوجوا صحوا .
- رأى الجماعات بعضه من بعض ، وكله من الفرد كوج البحر ، بعضه من بعض ، وكله من الریح .
- أكثر الفضائل اصطلاح ، وجودها كلها الصلاح .
- السقى بعد الغرس ، والتربية قبل الدرس .
- للفس في كل ما عملت عال من هواها .
- اذا زاد تواضع الكبراء كان تلطفاً في الكبر .
- ليس للدنيا ببعل من خطبها بلا عمل أو صحبها بلا أمل .